﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخۡدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ وَمَا يَشۡعُرُونَ ٩﴾ [البقرة: 9]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

هذه الآيةُ كالتَّعليل للآيةِ قبلهَا وهي قولُه تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَمَا هُم بِمُؤۡمِنِينَ﴾، فكأنَّ قائلًا قال: ولمَ يَقُولُون آمَنَّا وَهُمْ في حقيقة الأَمْرِ لَيْسُوا بمؤمنين؟ فجاء الجوابُ: ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ﴾، ولذا فُصِلَت الجملةُ عمَّا قبلهَا؛ لِشِبْهِ كمال الاتِّصالِ[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَدَاتِ:

1) ﴿يُخَٰدِعُونَ﴾: تعددت أقوال اللغويين في بيان أصل (الخِدَاع)؛ فقيل: أصلُهُ من إِخْفَاء الشَّيْءِ، يُقَال: أَخْدَعْتُ الشَّيْءَ، أي: أَخْفَيْتُه، وخدَع منِّي فلان، إذا توَارَى فلم يَظْهَر[2]، وهو مأخوذٌ من خَدَعَ الضَّبُّ إذا اختَفى، والأَخْدَعان: عِرْقَان مُسْتَبطنَان في العُنُق، ومِن هذا قولُ الله تعالى: ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ﴾ أي: أنَّهُمْ يُظْهِرُون خلافَ ما في نفُوسهم[3].

وقيل: أصلُ الخِدَاع من الفَسَادِ، ومِنْهُ الخَادِعُ؛ وهو: الفَاسِدُ مِنَ الطَّعَام وَغَيْرِهِ[4]، وهُوَ عند التَّحقيق عائدٌ إلى الأصل الأوّل، فلا تعارُضَ بَيْنَ الأَصْلَيْن، وفي عبارة الأَنْبَارِيِّ ما يُومِئُ إلى ذلك؛ إذْ قال: "وقولُهم: قد خَدَعَ فلانٌ فلانًا... أَظْهَرَ له أمرًا أضمَرَ خلافَه مِنَ الفَسَادِ، ومَا يُشَاكِلُ الفسَادَ مِنَ الأفعالِ المَذْمُومَة"[5].

في قوله تعالى: ﴿وَمَا يَخۡدَعُونَ﴾ قراءتان:

قرأ نافع، وابن كثير، وأبو عمرو؛ بضم الياء وفتح الخاء وألف بعدها وكسر الدال: ﴿وَمَا يُخَٰدِعُونَ﴾: على أنَّ الخِداع وقع من اثنين، فهو واقعٌ منهم وإليهم؛ إذ خدَعوا أنفسهم، وأنفسهم خدَعتْهم[6].

---

(1) أبو السُّعود، إرشاد العقل السَّليم: 1/40، والآلوسّي، روح المعاني: 1/149، والهرريّ، حدائق الرَّوح والرَّيْحان: 1/166.
(2) الخليل، العين، والأزهريّ، تهذيب اللّغة: (خدع)، وابن القوطِيَّة، كتاب الأفعال، ص: 32.
(3) الواحديّ، التَّفسير البسيط: 2/132.
(4) الأزهريّ، تهذيب اللّغة: (خدع).
(5) الأنباريّ، الزّاهر: 2/284.
(6) ابن الجزري، النشر: 2/207، وابن زنجلة، حجة القراءات، ص: 87.

وقرأ الباقون؛ بفتح الياء وإسكان الخاء وحذف الألف وفتح الدال: ﴿وَمَا يَخۡدَعُونَ﴾: على أنَّ الخداع وقع من طرفٍ واحد، فهو واقعٌ منهم على أنفسهم[1].

2) ﴿وَمَا يَشۡعُرُونَ﴾: الشِّعْرُ والشُّعور: العِلْمُ الدَّقيق أو الفِطنةُ، ويُطْلَق الشُّعور على الإدرَاك بالحواسِّ الْخَمْسِ[2]، وعلى مَبَادئ الإدراك[3].

وأصلُ (شَعَرْتُ): أَصَبْتُ الشَّعْرَ، ثُمَّ استُعير لِلْعِلْمِ الدَّقِيق؛ لأنَّه في الدِّقَّة بمنزلَةِ إِصَابة الشَّعْرِ[4].

وفي قولِه تعالى: ﴿وَمَا يَشۡعُرُونَ﴾ أي: ما يَدْرُونَ، ومَا يَعْلَمُون[5].

❁ المَعْنَى الإِجْمَالِيُّ:

يظنُّ المنافقون بِجَهْلِهِم أنَّهم يُخَادِعُون اللهَ ﷻ والمُؤْمِنِينَ؛ بإِظْهَارِهِم بألْسِنَتِهِم مِنَ القَوْلِ والتَّصْدِيق خلافَ الذي في قُلُوبِهِم مِنَ الشَّكّ والتَّكذِيب، وهُم في حقيقة الأمر لا يَخْدَعُون إلَّا أنفسَهم، ولا يَشْعُرُ هؤلاء أَنَّ خِدَاعَهم على أنفُسِهم؛ لفسَادِ قلُوبِهم[6].

❁ الإِيضَاحُ اللُّغَوِيُّ وَالبَلَاغِيُّ:

بَلَاغَة الفَصْلِ بَيْنَ الجُمَلِ:

الكَشْفُ عن عِلَّةِ قَـوْلِ الْمُنَـافِقِينَ بِبَيَانِ حَقِيقَةِ مَا فِي قُلُوبِهِمْ

فُصِلَ قولُه تعالى: ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ﴾ عَن قولِه قبلُ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ﴾؛ لوَجْهَيْنِ مُتقَارِبَيْن:

أَوَّلُهُمَا: أن تكونَ الصِّلَةُ بينهما شِبْهَ كمالِ الاتِّصال، على تقدير سؤالٍ محذوف يُفْهَمُ مِنَ الآية قبلَهَا وهي: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ﴾، فكأنَّه قيل: ومَا لَهُمْ يقولُون بأفواههم ما لا تَعْتَقِدُه قلوبُهم؟، فجاء الجَوَابُ: ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ﴾، وفائِدَتُه هَهُنا: التَّعليلُ.

الآخَرُ: أن تكونَ الصِّلَةُ بينهما كمالَ اتِّصالٍ على أن تُعرَب جملة: ﴿يُخَٰدِعُونَ﴾ بدلَ اشتمالٍ

(1) أبو حيان، البحر المحيط: 1/93.
(2) الرّاغب، المفردات: (شعر)، والخفاجيّ، عناية القاضي: 1/318.
(3) ابن عرفة، تفسير ابن عرفة: 1/52.
(4) السَّمين، عمدة الحُفّاظ: (شعر).
(5) ابن جرير، جامع البيان: 1/277.
(6) ابن جرير، جامع البيان: 1/272-273، وابن عثيمين، تفسير الفاتحة والبقرة: 1/40، والسَّعدي، تيسير الكريم الرَّحمن، ص: 42، ونخبة من أساتذة التّفسير، التّفسير الميسّر، ص: 3.

من قوله تعالى: ﴿مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ﴾[1]، وفائدته: بيان حقيقة أقوالِهم، وهذان وجهان متَّسقان مع السِّياق، منتظمان في النَّظم.

فائِدةُ الإيجَازِ بِحَذْفِ المُضَافِ:

في قولِه تعالى: ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ﴾ مَجَازٌ بالحَذْف أوِ إيجازٌ بالحَذْفِ[2]، بمعنى: يُخَادِعُون رسولَه، ففيه حذفُ مضافٍ، ونُكْتَتُهُ: "التَّنبيه على أمرين: أحدهما: فظاعةُ فِعْلِهِم فيما تحرَّوْهُ مِنَ الخديعة، وأنّهم بمخادعتهم إيّاه يخادعون اللّه، والثَّاني: التَّنبيه على عِظَم المقصود بالخدَاعِ، وأنَّ معاملتَهُ كمعاملة اللّه"[3]، ففيه رفعةُ شَأْنِ النَّبِيِّ ﷺ عند اللّه تعالى؛ فجُعِلَ خداعُهُ بمنزلة خداعِ مُرْسِلِه [4]ﷺ، وقرينةُ الحذف ههنا: اسْتِحَالَةُ إخفاءِ شيءٍ عَنِ اللّه تعالى؛ لكون رَبِّ العزَّة والجلالِ عالمًا بالْغَيْبِ والشَّهادةِ.

خداعُ رسول الله هو بمنزلة خداع الله تعالى، وفي هـذا تعـظيم لشأن النبيّ ﷺ

بلاغةُ الاِسْتِعَارَةِ التَّمْثِيلِيَّةِ فِي بيانِ شَنَاعَةِ جُرْمِ المُنَافِقِينَ:

يَحْتَمِل أن يكون قولُه تعالَى: ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ﴾ من باب الاستعارةِ التَّمثيليَّة؛ فقد شُبِّهت الهيئة المركَّبَة من إظهار الإيمان وإبطانِ الكُفْرِ بهيئةِ الرَّعيَّةِ التي تُخادِعُ سلطانَهَا، فاسْتُعِير اسْمُ المُشَبَّهِ به لِلْمُشبَّه[5]، ونُكْتَةُ الاستعارَةِ: بيانُ شَنَاعةِ جُرمِهِم حيثُ يُعامِلون معاملةَ الخَادِعِ[6].

أَثَرُ الصِّيغَةِ فِي بَيَانِ المَعْنَى:

فِعْلُ ﴿يُخَٰدِعُونَ﴾ صيغةُ مُفاعَلَةٍ دالَّةٌ على المبالغة في بيان شَأْنِ المنافقين في مخادعتهم، أمَّا خداعُهُمْ؛ فإظهارُهم الإيمانَ وإبطانُهُم الكفرَ.

خِـــدَاعُ الـلـهِ سُـبْـحَـانَـهُ لِلْمُنَافِقِينَ هُوَ عَلَى وَجْهِ المُقَابَلَةِ والمُجازاةِ

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 1/274.
(2) البيضاويّ، أنوار التَّنزيل: 1/44.
(3) محمّد رشيد رضا، تفسير القرآن الحكيم: 5/380.
(4) أبو السّعود، إرشاد العقل السَّليم: 1/41.
(5) محمد علي جميل، صفوة التَّفاسير: 1/32.
(6) أبو السّعود، إرشاد العقل السَّليم: 1/41.

وأمَّا خداعُ المؤمنين لِلْمُنَافقين؛ فَهُمْ وَإِنْ كانوا يَعْلَمُون فسادَ بواطِنِ كثيرٍ مِنَ الْمُنَافِقين بما يَظْهَرُ على فَلَتَاتِ أَلْسِنَتِهم وسُوءِ فِعالهم، إلَّا أنَّهم أَجْرَوْا عَلَيْهِمْ أحكامَ أهلِ الإسلام في الدُّنيا امتثالًا لأمر الله تعالى بِذَلِكَ[1].

وأمَّا خداعُ اللهِ تعالى لهم؛ فهو أَنْ يُظْهِرَ الله تعالى ما يُظَنُّ أنَّه كرامةٌ وفيهِ عذابٌ أليم[2]، فالله سبحانه أَجْرَى عَلَى الْمُنَافِقِينَ أحكامَ الْإِسْلَامِ في الدُّنْيَا، وهُمْ في الدَّرْكِ الأسفلِ مِنَ النَّار يوم القيامةِ.

نُكْتَةُ التَّعْبِيرِ بِالِاسْمِ الْمَوْصُولِ دون الْوَصْفِ:

خداع المنافقين لا يفرّق بين مراتب أهل الإيمان

جاء التَّعبيرُ بالْفِعْلِ في قوله: ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ دون الوَصْفِ - (يخادعون اللهَ والمؤمنينَ) -؛ لِمَا تُشْعِرُ به كَلِمَةُ (المُؤمنين) مِنَ الكمَالِ والشُّمولِ، وتصدق على المؤمنين الصّادقين الذين رسخ الإيمان في قلوبهم. أمّا ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ فالفعل يدلّ على من اتّصف بالإيمان، مهما كان إيمانه قليلًا، ونكتة إيثار الصلة والموصول الإشارة إلى أنّ المنافقين يسعون إلى خداع كلّ من اتّصف بالإيمان، حتى لو كان إيمانهم ضعيفًا، فمن باب أولى أنهم يسعون لخداع المؤمنين الراسخين في الإيمان.

تَوْجِيهُ الْقِرَاءَاتِ الْقُرْآنِيَّة في الفعل ﴿يَخْدَعُونَ﴾:

اختلف القُرَّاء في قراءة لفظ ﴿يَخْدَعُونَ﴾ من قولِه تعالى: ﴿وَمَا يَخْدَعُونَ﴾، فقرأها الجُمْهُورُ بِغَيْرِ أَلِفٍ ﴿يَخْدَعُونَ﴾.

وقرأَ نافعٌ وابنُ كثير وأبو عَمْرٍو بزيادَةِ ألفٍ بعد الخاءِ ﴿يُخَٰدِعُونَ﴾[3]، وهُوَ مُفَاعَلَةٌ مِنَ الخِدَاعِ؛ ولذلكَ نُكْتَتَان: لفظيَّةٌ ومعنويَّةٌ.

---

(1) القِنَّوجي، فتح البيان: 1/90-91.

(2) ابن تيميّة، الفتاوى الكبرى: 6/20.

الخِدَاعُ مِنَ الصِّفات التي تُطْلَقُ على الله تعالى على وجه المقابلةِ والانتقامِ والمُجازاةِ، قال ابنُ كثيرٍ في تفسيره: 1/184: «لأنَّ المَكْرَ والخِدَاع والسُّخريَّة على وجه اللَّعِب والعَبَثِ مُنْتَفٍ عَنِ الله ﷻ بالإجماع، وأمَّا على وجه الِانتقام والمُقَابلة بالعَدْلِ والمجازاة؛ فلَا يَمْتَنِعُ ذلك».

(3) ابن الجزري، النشر: 2/207.

التَّكامُلُ الدَّلاليُّ بـينَ الـقِـرَاءَاتِ وأَثـرُه فِي تَقْوِيَةِ مَقْصُودِ النَّظْمِ

فأمَّا اللَّفظيَّةُ؛ فَلِأَجْلِ تحقيق الْمُزَاوجَةِ في اللَّفْظِ مَعَ قوله قبلُ: ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾.

وأمَّا المعنويَّةُ؛ فلأنَّهم "كانوا يُخَادِعُون أنفسَهم بالتَّسْويف والتَّشْكِيك، وَإِذَا نَازَعَتْهُم دواعي الإيمانِ، ودَعَتْهُم خواطرُ الحقِّ؛ كانوا يُقَابِلُون ذلك بالْجَحْدِ والتَّكْذيب وترك النَّظَر، والْخَاطِرَانِ في قَلْبٍ واحدٍ إِذَا كانا يَتَعَارَضَان؛ جُعِلَا بِمَنْزِلَة نَفْسَيْنِ"[1].

ويظهرُ التَّكامُلُ الدَّلاليُّ بين القِرَاءَتَيْنِ في أنَّ قراءةَ الْفِعْلِ المُجرَّد تُفيدُ أنَّ الخِداعَ وَقَعَ على كلِّ واحدٍ منهم؛ فلمَّا أرادُوا خدعَ الآخرينَ خَدَعُوا أنفسَهم، وأمَّا قراءةُ المُفَاعَلَةِ؛ فَتُفيدُ أنَّ المخادعةَ وَقَعَتْ فيمَا بَيْنَهُمْ، أي: أنَّ بعضَهم خَدَعَ بعضَهم الآخرَ بِرَأْيِهِ السَّاذج، وفكرِه الخَبِيثِ، فَقَدْ تعاونوا على البَاطِلِ فوَقَعُوا في مَخَالِبِه جميعًا، فهذا تكاملٌ بديعٌ بين القراءَتَيْنِ.

نُكْتَةُ حَذْفِ مُتَعَلَّقِ الْفِعْلِ:

المـنـافـقـون لا يشعرون بشيء فـهـم مـنـزلـون مـنـزلـة مـن اختلّت حواسهم وتعطّلت

حُذف متعلَّقُ الفعلِ في قوله ﷻ: ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾، وفي تقديره وَجْهَان[2]:

أحدهما: أَنْ يَكُونَ المُقَدَّرُ خاصًّا، والمعنى: وما يَشْعُرُونَ أنَّ خِدَاعَهُم مُقْتَصِرٌ عَلَيْهِم، فَيَكُونُ الْمُتَعَلَّقُ حُذِفَ لظهورِه وقُرْبِ العَهْدِ به.

والآخَر: أَنْ يَكُونَ الْمُقَدَّر عامًّا، وهو الْأَوْفَقُ لِقاعِدَةِ أنَّ حذف المعمولِ مُؤْذِنٌ بالعمُوم، والمعنى: لا يَشْعُرون بشيءٍ أصلًا، فنُزِّلوا مَنْزِلَةَ مَن اخْتَلَّت حواسُّهُ وتعطَّلَتْ.

❁ الفُرُوقُ المُعْجَمِيَّةُ:

الخِدَاعُ وَالكَيْدُ وَالمَكْرُ:

الفرقُ بَيْنَها: أنَّ الخداع إظهارُ أَمْرٍ لِغَيْرِكَ مع إضمَار خلافه، ولا

(1) الواحديّ، التَّفسير البسيط: 2/138.

(2) أبو السّعود، إرشاد العقل السَّليم: 1/41.

يلزم مِنْهُ أن يكونَ بعد نظر وتدبُّرٍ، ولذا يُقال: خدعَهُ في البيع؛ إذا غشَّهُ، ولو كان ذلك بديهَةً مِن غير فِكْرٍ سابقٍ.

بخلاف الكَيْدِ فإنَّه - في حقِّ المخلوقِ- لا يكونُ إلَّا بعد تدبُّر وفِكْرٍ ونظَرٍ.

وأمَّا المكر فهو - في حقِّ المَخْلُوق- مِثْلُ الكَيْدِ في أنه لا يكُون إِلَّا بَعْدَ فِكْرٍ ونَظَرٍ، إِلَّا أنَّ الكَيْدَ أقوَى مِنَ المَكْرِ.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الأول، من سورة الفاتحة إلى الآية 97 من سورة البقرة
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1444هـ - 2023م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2023م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: من سورة الفاتحة إلى الآية 97 من سورة البقرة [إشراف مجمع القرآن الكريم،
قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2023.
مج. 1 ، 800 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-798-52-1
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 1 : من سورة الفاتحة إلى الآية 97 من سورة البقرة.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث ج- المستغانمي، امحمد صافي

الترقيم الدولي : 978-9948-798-52-1
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-9609262 بتاريخ 2023/03/10م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»